

الفصل الأول

الخديو عباس الثانى بين السلطان والقنصل البريطانى

- ١ — ظروف تولية عباس الثانى أريكة الخديوية .
- ٢ — علاقة عباس الثانى بالسلطان (أزمة الفرمان) .
- ٣ — علاقة عباس بالانجليز فى العام الاول من حكمه .
- ٤ — الازمة الوزارية ١٨٩٣ .
- ٥ — وزارة رياض وحادث الحدود .
- ٦ — وزارتى نوبار ومصطفى فهمى .

١ - ظروف تولية عباس الثانى أريكة الخديوية :

بعد ضرب الثورة العرابية صفيت الحركة الوطنية وركنت الأمة الى الاستكانة والخضوع ، وتضاءلت الروح الوطنية في النفوس ، وأصبحت الحياة السياسية في مصر تدور حول الخديوية من ناحية وسلطات الاحتلال من ناحية أخرى وظل هذا الموقف سائدا في السنوات الأولى للاحتلال ، وقد سارت إنجلترا بخطوات واسعة في تحقيق أغراضها الاستعمارية وبسط حمايتها الممنعة على مصر والتدخل في شئونها .

وفي ٧ يناير ١٨٩٢ اشتد المرض بالخديو توفيق حتى بلغ مرحلة الخطر ^(١) في وقت كان فيه الموقف في مصر دقيقا ، لسلطة الخديو كانت ضائعة وصلوبة لقضاء الانجليز عليها خلال السنوات العشر الأولى لاحتلالهم البلاد ، والحكومة الموجودة على رأسها صنيعه الاحتلال مصطفى فهمى الذى يشارك الانجليز عواطفهم دون تحفظ ^(٢) والذى كان ممقوتا من الشعب مكروها من الصحافة ^(٣) وقد كان الانجليز يتصرفون في شئون البلاد كما يشاءون .

ولخشية الانجليز من تدخل السلطان العثمانى في أمر مصر بعد وفاة الخديو توفيق اجتمع السير ايفلين بارنج ^(٤) مع مصطفى فهمى رئيس النظار وتجران باشا ناظر الخارجية والسير ألوين بالمر المستشار

(1) Cromer. Abbas II P. 2 - 3.

(2) Milner. A. England in Egypt P. 132.

(٣) د . محمد نجيب أبو الليل : الاحتلال البريطانى والصحف الفرنسية ص ١٠٧ .

(٤) منح السير ايفلين بارنج لقب Pair في ٢٤ مايو ١٨٩٢ ، وهذا اللقب يخول لمصاحبه لقب لورد غسمى لورد كرومر من هذا التاريخ .

المالى وتباحثوا فى الأمر ^(٥) واتفقوا على استدعاء نجله عباس من
فيينا حيث كان يتلقى العلم فى كلية التريانونوم وذلك لأنه أكبر أنجال
الخدّيو توفيق .

وفى ٧ يناير ١٨٩٢ توفى الخدّيو فى الساعة السابعة وسبعة عشرة
دقيقة مساءً بسرّاء حلوان ^(٦) على أثر إصابته بحمى شديدة ^(٧) .

ولما كان البرنس عباس نجل الخدّيو الراحل لا يزال فى فيينا
فقد أخطر تلغرافيا بالخبر كما أخطر الباب العالى ^(٨) وتقرر أن يدير
مجلس النظار تحت رئاسة مصطفى باشا فهمى أعمال الحكومة حتى
يصل الخدّيو الجديد ^(٩) .

وفى ٨ يناير أرسل البرنس عباس من أوروبا تلغرافا الى مصطفى
فهمى رئيس النظار أوضح فيه أنه سيصل على الواپور الذى سيمر

(٥) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ج ٢ ، من ١٨٩٢ — ١٩٠٢
من ١ .

(٦) الوقائع المصرية : عدد ٨ يناير ١٨٩٢ .

وبوضح اللورد كرومر اثر وفاة الخدّيو توفيق على الإحتلال بأن وغانته
توسّعت نظائما كان يتوتف وجوده الى درجة كبيرة على اطلالة اجله .

Cromier : Op. Cit., P. 7.

(٧) محمود فهمى المهندس : البحر الزاخر فى تاريخ العالم واخبار
الأوائل والأواخر ، القاهرة — المطبعة الاميرية ببولاق ١٣١٢ هـ ، ج ١ ،
ص ٢٥٧ .

(٨) دار الوثائق : مذكرات محمد غريد . القسم الاول من ١٨٩١ —
١٨٩٧ تحت عنوان سنة ١٨٩٢ اول جمادى الثانية ١٣٠٩ .

(٩) الوقائع المصرية : السنة الحادية والمستون رقم ٤ فى ٨ يناير
سنة ١٨٩٢ .

تحضيره في تربية بلا تأخير وأنه على يقين من أن الأعمال في الحكومة ستسير بكل همة ونشاط حتى يتم وصوله إلى مصر (١٠) .

كما أرسل الصدر الأعظم العثماني تلغرافا إلى رئيس مجلس النظار بتاريخ ٨ يناير ١٨٩٢ أوضح فيه أنه بعد عرض أمر وفاة الخديو على السلطان وافق على أن يؤول منصب الخديوية إلى البرنس عباس حلمي أكبر أولاد المرحوم محمد توفيق باشا ، حسب لمرمان وراثية الخديوية المصرية ، وحتى يصل الخديو الجديد من أوروبا ليتسلم مهامه في مصر تكون إدارة الحكومة بواسطة رئيس مجلس النظار بالاشتراك مع الوزراء (١١) .

وعندما اتخذت المراسيم الرسمية لتولية الخديو الجديد ظهرت مشكلة شائكة وهي أن عباس الثاني لم يكن قد بلغ سن الرشد حين وفاة والده الخديو توفيق فالأمر يقتضي أن لا يكون سن الأمير أقل من ثمانية عشر عاما ، وبما أن عباس ولد في ١٤ يولييه ١٨٧٤ فانه لم يبلغ سن الرشد الا في ١٤ يولييه ١٨٩٢ بينما كانت وفاة والده المفاجئة في ٧ يناير ١٨٩٢ مما أظهر شبح تكوين مجلس وصاية ما دام الأمير لم يبلغ سن الرشد (١٢) .

(١٠) مذكرات محمد نريد : القسم الأول ١٨٩١ — ١٨٩٧ تحت عنوان سنة ١٨٩٢ .

(١١) الوقائع المصرية : السنة الحادية والستون رقم ٥ في ٩ يناير سنة ١٨٩٢ تحت عنوان « القسم الرسمي » .

(١٢) ورد في صورة الخط الهمايوني الذي صدر بخصوص توارث الحكومة الخديوية أنه إذا لم يبلغ أكبر أبناء والي الذكور سن الثمانية عشر سنة عند وفاة والده يشكل مجلس وصاية من الذوات الموجودين في الداخلية والجهادية والمالية والخارجية ومجلس الأحكام المصرية وسردياته العسكرية المصرية وتفتيش الاتهام ويتخبون منهم وصيا .

انظر : كنز الرغائب في منتخبات الجوائب — الجزء الخامس .
الإستانة : المطبعة الأولى — مطبعة الجوائب ١٢٩٤ هـ ، ص ٩٣ .

ولكن أحد العلماء اقترح أن يحسب سن الأمير المسلم حسب السنين الهجرية التي تبلغ أيامها ٣٥٤ يوما وبما أن السنة الهجرية تقل عن السنة الميلادية في عدد الأيام اتضح أن سن البرنس عباس بالتاريخ الهجري يصل الى ثمانية عشر عاما في يوم ٢٤ ديسمبر ١٨٩١ أى قبيل وفاة والده بأربعة عشر يوما فتمسك كرومر بذلك رغبة منه في ابعاد تشكيل مجلس للوصاية خشية تدخل السلطان ، وبذلك حسمت المشكلة (١٣) .

استدعى عباس من فينا ، كما أبلغ السلطان بما تم التوصل اليه فوافق وأصدر منشورا عاما باستمرار النظار في أعمالهم لحين وصول الخديو الجديد واستلامه زمام أمور البلاد .

يتخذ البعض من موقف كرومر بجانب حساب سن الخديو عباس هجريا بأن عباس يدين بالفضل في تعيينه في مسند الخديوية الى الانجليز (١٤) ومع أننا نتفق مع هذا القول من ناحية تمسك كرومر بأن يحسب سن الأمير حسب السنين الهجرية في البلاد الاسلامية ، واسرعه في استدعاء عباس من فينا لماننا نرى أيضا أن عباس يعتبر ولى العهد الشرعى ومن حقه تولى الخديوية حسب فرمانات السلاطنة وان المسألة كانت مسألة وقت لا يزيد عن أربعة عشر يوما وأن كرومر قد فضل تولى الخديو الجديد عن قيام مجلس للوصاية خشية تدخل السلطان العثماني في الأمر .

وصل عباس الى الاسكندرية في الساعة الواحدة من صباح السبت ١٦ يناير ١٨٩٢ ونزل بقصر رأس الثين حيث أجريت له التشريفات ثم أخذ يضطلع بمهام الأريكة الخديوية وتذكر « جوليت آدم » أن أول

(13) Cromer : Op. Cit., P. 2 - 3.

(١٤) يوسف خليل جاد الله : تطور الحركة القومية في مصر ١٨٨٢ — ١٩١٩ (رسالة دكتوراه غير منشورة) ص ٢١١ .

كلمة لفظها الخديو عند وصوله الى مصر كانت « انى أفضل الموت عن النزول عن أصغر حق من حقوقى »^(١٥) ، كما انتقد سياسة والده في الاستكانة لأغراض الاحتلال أسفا كل الأسف لتعاون الوزارات مع رجال الاحتلال في السيطرة على البلاد واستنزاف مواردها^(١٦) وقد أدى ذلك الى احساس اللورد كرومر بأن الخديو الجديد يختلف عن والده فقال في رسالة له الى اللورد سالسبورى « انى أرى أن الخديو الشاب سيكون مصريا بحتا »^(١٧) .

ويذكر أحمد شفيق أن عباس لم يكن مستريحا لسياسة والده مع المحتلين فعندما حضر الى مصر في الإجازة الدراسية التي سبقت توليته سأل بعض رجال الحاشية عن سير الأمور العامة فعلم منهم أن الأمور تجري وفق سياسة المعتد البريطانى التي ينفذها مصطفى فهمى رئيس النظار بكل دقة فاجتمع بوالده وأبدى ملاحظاته على هذه السياسة فأجابه والده « يا ابنى أنت لا تزال صبغيا ولا تدرك مثل هذه الأمور »^(١٨) .

ولقد جعلت هذه الرواية البعض ينتظرون خيرا من الخديو الجديد كما قابلت البلاد الأمير الشاب بالترحاب مما جعله وهو في فتوة الشباب ومتعلم في بلاد حرة مثل النمسا يصور سياسته على أساس التصسك بما له وما لمصر من حقوق .

وعندما توجه الخديو الى الصلاة في المسجد الحسينى يوم الجمعة ٢٢ يناير تراحم الناس في الطرقات المؤدية الى المسجد ، وتهافتوا عليه

(١٥) جوليت آدم : انجلترا فى مصر — ترجمة على فهمى كامل . ص ١٤١ .

(١٦) المصرى : فى مايو ١٩٥١ ، مذكرات الخديو عباس الثانى .

(١٧) Cromer : Op. Cit., P. 4.

(١٨) أحمد شفيق : أعمالى بعد مذكراتى ، ص ٢٢٧ .

مصنفين وفكوا الخيول من العربة وجروها بأنفسهم الى المسجد (١٩) .

وطبقا لمنهج البحث العلمى فاننا لا نقيس أعمال الخديو عباس الثانى بعام أو عامين من حكمه بل القياس سيكون على الفترة التى قضاها فى حكم مصر ، والمواقف التى وضعت تحت الاختبار وأظهرت موقفه تجاه الحركة الوطنية وتجاه المحتلين أيضا .

وقد ساعد عباس على مناوأة الانجليز الموقف الدولى العام فتركيا كانت قلقة من تواجد الانجليز على ضفاف النيل ، وفرنسا التى خسرت نفوذها المتفوق فى مصر حاولت أن تسترد هذا النفوذ بمعاونة الخديو الجديد ، وهناك الدول صاحبة الامتيازات ثم كانت هناك الوزارة المصرية المتعاونة مع الاحتلال ، والى جانب هؤلاء كان شعب مصر يبرز تحت خربة الهزيمة والذى رأى فى الأمير الجديد متفلسا لأماله ومخلصا له من الاحتلال (٢٠) .

وكانت الحكومة الانجليزية تود أن يقتفى الخديو عباس أثر سياسة أبيه فأشارت عليه من طسرف خفى بضرورة اتباع خطة والده مع الانجليز فذكرت أن انجلترا فقدت بوفاة المغفور له توفيق حليفا أميناً تمكن بحسن سياسته من إعادة السلم والنظام والرفاهية للبلاد المصرية ثم أعربت حاكمة بريطانيا عن تمام ثقتها فى أن الخديو الحالى سيقتنى أثر هذه السياسة (٢١) .

لقد تنطك عباس فى الفترة الأولى من حكمه شعور حماسى واستقلال

(١٩) أحمد شفيق : مذكراتى من نصف قرن ج ٢ ، من ١٨٩٢ - ١٩٠٢ ، ص ١٧ .

(٢٠) محمد على علوبة : ذكريات اجتماعية وسياسية ، مخطوط بدار الوثائق .

(٢١) أحمد شفيق : مذكراتى من نصف قرن ج ٢ ، ص ١٦ .

في الرأي يؤهلانه لأن يكون قائدا وطنيا فأحس أن له ولحصر حقوقا يجب أن تصان (٢٣) ، ولولا الصعاب التي اعترضته والاحتلال الذي قلم أظفاره وردّه الى شيء من الخوف لساّر على هذه السياسة أمدا أطول .

قام الخديو عباس الثاني بإجراء بعض تنقلات وتغييرات في المعية التي كانت على أيام والده الى أفراد آخرين فأبعد من كانت سيرته غير حميدة مما أدى الى ارتياح الرأي العام (٢٤) كما عين بعض من يثق فيهم مثل أستاذه النصاوي Louis Rouiller أستاذ الاقتصاد السياسي بمدرسة العلوم الشرقية بجامعة فينا والذي كان مدرسا خصوصيا له أيام أن كان طالبا بكلية التريزيانوم فعينه في ١٤ أبريل سنة ١٨٩٢ سكرتيرا عاما لديوانه عقب تنظيم المعية (٢٥) كما نقل أحمد شفيق من نظارة الخارجية الى المعية السنية (٢٥) .

ومع أن علاقة الخديو مع السلطان والانجليز في أول الأمر كانت مبهمة وغير منظمة فقد أثار في أول الأمر حملة شديدة ضد تركيا ثم واجه الانجليز وبدأ في ممارسة مهامه فأبدى ملاحظاته على الضباط الانجليز الذين لا يقومون بأداء التعظيمات العسكرية اللازمة له أثناء مروره من

(٢٢) مذكرات قليني غهسي ج ١ ، ص ٧٤ — ٧٥ .

(٢٣) دار الوثائق القومية : مذكرات محمد نريد ، القسم الاول الفترة من ١٨٩١ — ١٨٩٧ تحت عنوان سنة ١٨٩٢ .

(٢٤) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٧ .

(٢٥) دار الوثائق : ديوان خديو رقم ١٦ ملف نظارة الخارجية رقم (١) عام ١٨٩٢ مذكورة بتوقيع ناظر الخارجية بتاريخ ١٥ فبراير ١٨٩٢ .

أمامهم (٢٦) . كما أخذ يتدخل في شؤون الإدارة ويصدر أوامره مباشرة من السراى الى المديریات بخصوص الفيضانات أو المنازعات التى تنشعب بين الموظفين الانجليز وبين المصريين فان ذلك يرجع الى خبرته القليلة عن حقيقة الموقف في مصر وحقيقة وضعه هو أيضا والى الحماس الذى يمكن أن ينتاب الشبان في مثل سنه .

اتجه الخديو عباس الى الأمة فأصدر أوامره في ٦ نوفمبر ١٨٩٢ . بالعمو عن عدد كبير ممن اشتركوا في أحداث الثورة العرابية ومنحهم حق التمتع بجميع الحقوق المدنية ورد اليهم ما كانوا قد جردوا منه من العناوين وعلامات الشرف (٢٧) ثم صار يستقبل الطوائف مرتين كل شهر ليوطد علاقته بالناس ويجمعهم حوله (٢٨) .

٢ — علاقة الخديو عباس الثانى بالسلطان (أزمة الفرمان) :

حاولت القوى المؤثرة على الوضع السياسى في مصر الضغط على الخديو لئلى تضمه الى صفها مستغلة في ذلك صغر سنه ثم قلة خبرته بأحوال البلاد فدخل السلطان العثمانى صاحب السيادة الشرعية على مصر تسانده كل من فرنسا والروسيا في سباق مع انجلترا المؤيدة بدول

(٢٦) لقد كان الأستاذ روليه من أشد رجال الحاشية دفعا للخديو للمطالبة بحقوقه الشرعية فقد زين له فكرة اخراج العساكر الانجليز من القلعة بحجة وجود جامع محمد على وديوانه الاثرى في هذه المنطقة كما أبدى في ملاحظته على الضباط الانجليز من عدم قيامهم بإداء التعظيمات له أثناء مروره بموكبه .

أحمد شفيق : مذكراتى في نصف قرن ج ٢ القسم الأول ، ص ٢٨ ، ص ٥٢ .

(٢٧) الأستاذ : العدد ١٢ في ٨ نوفمبر ١٨٩٢ ، ص ٢٨٨ تحت عنوان « نداء وتهنئة » .

(٢٨) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ٣٦ — ٣٧ .

التحالف الثلاثي للسيطرة على الخديو ، وقد بدأ السلطان ذلك حين طلب من عباس زيارته وهو ما يزال في أوروبا قبل أن يصل الى مصر ، ولكن عباس تجنباً للضغط من السلطان عليه سافر الى مصر مباشرة مما أغضب السلطان الذي لجأ الى تأخير فرمان ولايته ، كما حاول اقتطاع شبه جزيرة سيناء من مصر على زعم أنها تتبع ولاية الحجاز ، ودارت المفاوضات في هذا الصدد قبل تحرير فرمان على أساس أن تتخلى مصر عن العقبة ومنعا لتوتر العلاقات بين مصر والدولة العثمانية قبل الخديو ذلك .

ولما جاء المشير أحمد أيوب المندوب العثماني الى مصر في ٤ أبريل ١٨٩٢ — أي بعد تولية الخديو بأكثر من شهرين — حاملاً فرمان تولية عباس الثاني الصادر في ٢٦ مارس ١٨٩٢ كان فرمان الذي يحمله مطابقاً لفرمان ٧ أغسطس ١٨٧٩ الصادر لوالده الخديو توفيق فيما عدا نقطة واحدة وهي أنه عين أملاك مصر وفقاً للفرمان الصادر الى محمد علي في يونيه ١٨٤١ منتزعا عنها شبه جزيرة سيناء بما في ذلك العقبة والطور التي كانت قد ضمت الى الادارة المصرية في عهد الخديو اسماعيل وبهذا تصبح حدود مصر ممتدة من العريش الى السويس (٢٩) وقد زاد من تدهور الموقف أن سفير إنجلترا في الأستانة لم يطلع على هذا فرمان (٣٠) مما جعل الحكومة الانجليزية تشك في الأمر فأرسل اللورد سالسبورى رئيس الوزراء الانجليزى الى المعتمد البريطاني في مصر اللورد كرومر بالمعارضة في تلاوة فرمان قبل الاطلاع عليه وكان هدف إنجلترا من ذلك هو رفضها أن يكون لتركيا قوات مطلقة على قناة السويس (٣١) رغبة في تأمين مصالحها التي تقتضى بحماية الطريق الى

(٢٩) يوسف خليل : المرجع السابق ، ص ٢١١ .

(٣٠) أحمد شفيق : مذكراتي لى نصف قرن ج ٢ ، ص ١٠ .

وما بعدها .

(٣١) د. عباس مصطفى عامر : المدخل الشرقى لمصر — شبه جزيرة

سيناء ، ص ٧ .

الهند ، ولما كان فرمان تولية عباس الثانى يقتطع شبه جزيرة سيناء كلها من مصر فقد منعت انجلترا نشر فرمان حتى تصدر أوامر سلطانية بترك شبه جزيرة سيناء الى مصر ، ونتيجة لذلك حدثت أزمة بين انجلترا والدولة العثمانية اضطر السلطان خلالها أن يصدر ارادة سلطانية باسناد ادارة شبه جزيرة سيناء الى مصر (٣٢) وبناء على ذلك أصبحت شبه جزيرة سيناء كما يحدها الخط الممتد من شرقى العريش الى رأس خليج العقبة تحت ادارة مصر (٣٣) فانفجرت الأزمة وتلى فرمان مع الارادة السلطانية المكملة له فى ١٤ أبريل ١٨٩٢ بسراى عابدين .

والواضح أن علاقة الخديو بالسلطان العثمانى كانت علاقة معقدة ذات شقين فالخديو يخشى السيطرة العثمانية على مصر وفى نفس الوقت يتخذها أداة للتخفيف من السيطرة الانجليزية استنادا الى تبعية مصر للدولة العثمانية وتوضيحا لذلك نقول أن الخديو كان يخشى السلطان عندما تؤول له أمور مصر وخصوصا وأن له قوة روحية يعتد بها فمع أن المصريين كانوا حريصين على ما نالوا من استقلال محدود ، وضد أى عودة الى الحكم التركى المباشر فقد كانت عواطفهم مع السلطان باعتباره خليفة للمسلمين ورئيس لأكبر دولة اسلامية يتجهون اليها طلبا للمعون ضد الاحتلال كما كان أحمد مختار باشا المندوب العثمانى فى مصر والجرائد الموالية للسلطان تعمل على تقوية ذلك الشعور لذلك كان الخديو يخشى السلطان ويجعل تعاونه معه مشوبا بالحذر والشك وفى نفس الوقت كان يحاول التخلص من السيطرة الانجليزية بالاستناد الى تبعية مصر للدولة العثمانية ومساعدة السلطان له .

وبالنسبة للسلطان فإن الانجليز لم يقتطعوا عليه حقا كان ينعم به

(32) Cromer : Modern Egypt. Vol 2. P 268 - 269.

(٣٣) الزائعى : سيطرى كليل ، ص ٣٠٦ .

فهم معترفون بسيادته مؤدون لخزينته الأموال ، كما ظل قاضى مصر عثمانى مقلدا من قبل السلطان ، فالانجليز لم يقطعوا ما بين مصر وتركيا لذلك رأى السلطان أن الاحتلال شر بلا شك ولكن اذا ما زال هذا الشر فكيف يضمن السلطان ألا يفقد ما سمح له به الاحتلال ؟ فقد ينقل كله الى المصريين ، وقد ينقل كل شيء الى دولة أخرى أوروبية ، فماذا يدعو تركيا للعمل على تغيير الحالة والانجليز أنفسهم لا يبدون منهم أنهم يعترفون اجراء أى تغيير (٣٤) .

وكان كرومر دائما ما يهدد الخديو بإمكان عقد اتفاق مع السلطان على أساس احتلال انجليزى لمصر وسيطرة تركية اذ لم يكف الخديو عن مقاومة الاحتلال وظلت الشكوك تساور العلاقات بين الخديو والسلطان مما أدى الى عدم قيام تعاون مثمر بينهما فى مقاومة الاحتلال ، وساعد على ذلك موضوع جزيرة طاشوز Thasos ومع أن عباس كان يكره السيطرة التركية لأنه كان يعارض قطع علاقته بالسلطان نهائيا بل كان يريد أن يستبقى من مظاهر السيادة التركية الحد الأدنى الذى يحول دون أن تعلن بريطانيا حمايتها على مصر .

٣ — علاقة الخديو عباس الثانى بالانجليز فى العام الاول من حكمه :

لم يظهر فى بداية حكم الخديو عباس ما يدل على عداوته للانجليز كما يذكر البعض (٣٥) بل كان عداؤه للأتراك واضحا ، وعلى تفاهم ودى مع الانجليز فى العام الاول من حكمه ، وذلك لأنه كان فى حاجة ماسة الى تأييدهم فى مسألة تعديل الحدود فأرضاه بارننج بعدم تعيين مجلس وصاية له (٣٦) حتى بلوغه سن الرشد بالسنتين الأمرنجية فكان

(٣٤) محمد شفيق غريال : تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ج ١

ص ٢٠ .

(٣٥) الزافعى : مصطفى كابل باعث الحركة الوطنية ، ص ٣٢١ .

(36) Comanos Pacha : Mémoires, 1920, P. 36.

لذلك وقع حسن في نفس الخديو الشاب كما وقف المعتمد البريطاني الى جانب الخديو حين علم بمحاولة السلطان انتزاع جزء من الأراضي المصرية وذلك لأن شبه جزيرة سيناء بما في ذلك العقبة كانت قد ضمت لمصر في عهد اسماعيل باشا فأرادت تركيا سلبها ، وجعل حدود مصر من العريش الى السويس ، فطلب كرومر من الحكومة المصرية الاطلاع على الفرمان قبل قراءته ، كما أبلغ حكومته بالأمر وتمت الاتصالات بين مصر والدولة العلية كما كتب قناصل فرنسا وروسيا الى سفرائهم بالآستانة للسعي لدى السلطان بابقاء شبه جزيرة سيناء تحت حكم مصر ^(٣٧) وازاء اصرار انجلترا تراجع السلطان وأعاد الحدود الى ما كانت عليه في عهد الخديوية السابقة ^(٣٨) ومما يدل على رضا الخديو على الانجليز في تلك الفترة أنه أراد في أوائل مارس ١٨٩٢ أن يمنح ضباط البحرية الانجليز المكلفين بحراسته والذين استقبلوه بالاسكندرية عذر عودته من النمسا أوسمة ولكن وزير الخارجية البريطانية اعتذر عن قبول هذه الأوسمة لأن قوانين الملكية لا تسمح بقبول الأوسمة الا في حالات خاصة لا تنطبق على هذه الحالة ^(٣٩) .

وقد وضع اللورد كرومر في خطاب له الى اللورد سالسبوري بتاريخ ١٥ أبريل ١٨٩٢ علاقة الخديو عباس بالانجليز في العام الأول من حكمه فأوضح أنه بالرغم من أن الخديو الصغير تتضارب مصالح مختلفة تجعله كالألعوبة الا أنه تصرف تصرفا طيبا تجاه بريطانيا كما أنه يتفق به أكثر مما يجب ^(٤٠) .

(٣٧) مذكرات محمد فريد : القسم الأول تحت عنوان سنة ١٨٩٢ .

(٣٨) « وردت الأخيضر الرسمية من الصدر الأعظم الى الخديو والمنذوبين العثمانيين بتلبية الباب العالي لمطالب مصر ، وبذلك انتهت كافة العقبات الحائلة ضد تلاوة الفرمان » .

مذكرات محمد فريد : القسم الأول .

(٣٩) يوسف خليل جاد الله : المرجع السابق ، ص ٢١٢ .

(٤٠) Zetland, M. The life of Lord Cromer P. 19.

ويبدو أن أسباب تعلق الخديو بكرومر في أول الأمر أنه لم يكن مرتاحا الى وجود الغازي مختار باشا مندوب السلطان في مصر وقد ظهرت بوادر الاحتكاك بينهما منذ البداية خاصة بعد طلب المندوب العثماني من الخديو تغيير الوزارة مما ضايق الخديو ، وعد ذلك تدخلا في شؤون بلاده الداخلية فأبرق الى السلطان يشكوه ويسأل عن يكون ممثلا للسلطان في مصر الخديو أم مختار باشا ؟ كما قام بدعوة النظار وأبدى لهم في حضور مختار باشا ثقته التامة بهم ورضاه عنهم (١١) .

وهكذا سارت العلاقات بين الخديو والانجليز في السنة الأولى من حكمه في صالح الاحتلال مما دفع جريدة التايمز الى القول « ان وجود الانجليز أصبح ضروريا لتثبيت مركز الخديو الحالي ، وأن السير بارنج يجب أن يبقى في مصر لخبرته بشؤونها ، وأن على الخديو الجديد أن يستمع الى نصائح المستشارين الانجليز » ، ثم لمحت الجريدة الى أهمية تعيين مستشار انجليزي للقصر ليسترشد الخديو بأرائه نظرا لصغر سنه (١٢) .

وعلى كل حال فإن علاقة الخديو الحسنة بالانجليز لم تدم طويلا فالخديو الشاب رأى أنه ليس له من الأمر الا اللقب ، وأن اللورد كرومر كان يعتبر نفسه الحاكم الحقيقي ، فحاول أن تكون مسئولية الحكم والسلطة في يده لا أن يكون دمية في يد الانجليز ومن هنا بدأت أزماته مع الاحتلال .

لقد تمسك الخديو بأن يكون حكم مصر وفقا للفرمانات السلطانية التي تحددها تسوية ١٨٤٠ بحيث يكون الوضع القانوني والدولي للبلاد سندا له يمنع انجلترا من انتحال أى حقوق تمكتها من دوام تدخلها

(41) Cromer : Abbas II, P. 5.

(٤٢) أحمد شفيق : مذكراتي في نصف قرن ج ٢ ، القسم الاول ، ص ١٥ .

في شئون مصر ، وقد زاد من سخط الخديو على الوضع في مصر أن رئيس النظار مصطفى فهمي كان شديد الاهتمام بمطالب كرومر بينما كان يهمل مطالبه ويمده بمعلومات غير صحيحة (٤٣) ، كما أنه أبعد عن الشئون العامة ووقف مع الانجليز في مسألة منشور البوليس ضد رغبة الخديو حيث وافق على اصدار منشور يأمر فيه المديرين بأن تكون جميع المكاتبات الخاصة بالضبط ، وتعيين العمدة والمشايع والخفراء باسم مفتش عموم البوليس الانجليزى لا باسم ناظر الداخلية مما أغضب الخديو وزاد من الاستياء العام لأن ذلك معناه تحويل أعمال ناظر الداخلية الى مفتش البوليس وهو انجليزى (٤٤) .

ولما أحس كرومر بما يدور في خلد الخديو أخذ يذكره بأن للانجليز الفضل في وجوده على العرش ، وأن الشعب المصرى يريد الثورة على الأسرة المالكة .

وفي أثناء غياب كرومر في لندن في صيف ١٨٩٢ شك الخديو للمستتر آرثر هاردنج الذى كان يثوب عن كرومر أثناء غيابه عن مصر من أن المصريين يعتبرون مصطفى فهمي انجليزيا أكثر من اللازم وليس مصريا الى الدرجة الكافية (٤٥) .

وبعد عودة كرومر من انجلترا وجد أن الأمور أصبحت تنذر بأشياء جديدة فالخديو الذى كان صديقا له ومتوددا للانجليز قد أصبح مناوئا لهم ينظر الى كل موظف انجليزى في الحكومة المصرية بعين الكراهية كما وجد كرومر نفسه في مقدمة المكروهين (٤٦) .

(43) Cocheris, J. Situation internationale de L'Egypt et du Sudan, Paris 1903 P. 248.

(٤٤) مذكرات محمد نريد : القسم الأول من ١٨٩١ — ١٨٩٧ -- يناير ١٨٩٢ .

(45) Cromer : Abbas II, P. 10.

(46) Ibid P. 31.

الآزمة الوزارية ١٨٩٢ :

أخذ الخديو عباس الثانى يرسم سياسته على مقاومة التدخل الانجليزى والتمسك بحقوق مصر وعدم التنازل عن حقوقه ^(١٧) ولما وجد فى رئيس نظاره مصطفى فهمى خضوعا كاملا للانجليز حيث كان ينفذ أوامر معتمدهم ولا يتصرف فى أى شأن من شئون الحكومة الا بعد أخذ استشارته كما أراد أن يوضح للخديو ضرورة خضوعه لسلطة كرومر ^(١٨) فى محاولة لاقصائه عن كل سلطة ^(١٩) ، مما أدى الى استياء الخديو الذى رأى أن خضوع مصطفى فهمى للانجليز يتسم بضعف الوطنية لديه حيث أنه لم يكن من أصل مصرى بل جاء أسلافه من كريت الى مصر ^(٢٠) كما أنه ضعيف التعلق بالمبادئ الاسلامية ، ومعاديا لتركيا وسياسة التعاون معها ^(٢١) .

ولما رأى الخديو أن التعاون مع مصطفى فهمى مستحيلا استقر رأيه على تغير النظارة الفهمية وترشيح تيجران باشا رئيسا للنظارة الجديدة وأبلغ اللورد كرومر بهذا الترشيح ، ولما كان كرومر يعلم أن تيجران باشا يكره السيطرة البريطانية على مصر ، ويميل الى الفرنسيين وأن الخديو يريد أن يوليه منصب رئاسة النظارة لذلك لم يقر كرومر هذا التدبير بأسلوب ينم عن مهارة سياسية فذكر أن عدم رغبته فى اسناد هذا المنصب الى تيجران يرجع لسببين وهما :

- ١ — أنه يعتقد أن تيجران يتبع سياسة العداء للانجليز .

(١٧) جوليت آدم : المرجع السابق ، ص ١٤١ .

(١٨) Cocheris, J. Op. Cit., P. 248.

(١٩) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٣٠٦ .

(٢٠) المصرى : فى ٩ ابريل ١٩٥١ — مذكرات عباس حلمى الثانى .

(٢١) Cromer : Op. Cit., P. 19.

(م ٥ — الخديو عباس الثانى)

٢ — أن تيجران أرمنى مسيحي ، ولا يستطيع قيادة الرأي العام الاسلامي ورغم أن كرومر كان يريد التخلص من تيجران خشية اتباعه سياسة العداء للانجليز فقد ركز على السبب الثاني لأنه يعلم أن العاطفة الدينية عند الشرقيين قوية والذي يريد أن يقنعهم بأنهم من هذا الباب ومع ذلك فقد تولى نوبار باشا وهو أرمنى مسيحي رئاسة الوزارة من قبل ولم يعترض أحد بل أن كرومر نفسه أشار بتعيين نوبار باشا بعد ذلك (٥٢) .

استخلص الخديو من أسباب رفض كرومر تعيين تيجران أنه يستطيع أن يعين رئيس نظاره من المسلمين دون استشارة كرومر فانتقز فرصة مرض مصطفى فهمي باحتقان في الرئتين فأراد التخلص منه (٥٣) ، وكان الرسول الذي يتعقب حالته الصحية هو محمود باشا شكرى رئيس الديوان التركي بالسراي ، فكان يكرر الزيارات يوميا لمصطفى فهمي متظاهرا بالمحبة والاخلاص مع أنه كان يود أن يكون المبشر الأول للخديو بوفاته ، ولما صعب ذلك وتحسنت صحة مصطفى فهمي أرسل الخديو اليه محمود شكرى ليخبره بأن صحته تستلزم الراحة ويشير عليه أن يقدم استقالته فكان جواب مصطفى فهمي بأنه سيفكر في الأمر ، وأنه سيعطى جوابه في صباح اليوم التالي (١٥ يناير ١٨٩٣) وفي الحال أرسل مصطفى فهمي الى مستشار المسالية الانجليزى بالمر ليخبره بما حدث فتصححه برفض الاستعفاء (٥٤) ، ولما حان الموعد المحدد لرد مصطفى فهمي أرسل الخديو اليه يطلب الرد فكان الجواب رفض

(٥٢) الوطن : العدد ٦٠٤٢ من ٢ مارس ١٩١٥ تحت عنوان « سياسة اللورد كرومر في مصر » .

(٥٣) المصري : مذكرات عباس الثاني من ٩ أبريل ١٩٥١ .

(٥٤) مذكرات محمد نريد : القسم الاول يناير ١٨٩٣ .

الاستعفاء^(٥٥) وأنه من الأوفق لسموه أن يستشير في ذلك اللورد كرومر .

كبر على الخديو الأمر وأصدر قرارا بإقالة مصطفى فهمي بحجة اعتلال صحته وتم تكليف حسين فخري ناظر الحقانية بتأليف الوزارة الجديدة^(٥٦) فكان لهذا التبديل مدى كبير في كافة الأوساط عالمية ومحلية لأنه تم دون استشارة اللورد كرومر .

أرسل الخديو المسيو روليه بك سكرتيره العام الى كرومر يبلغه بتغيير الوزارة وتعيين حسين فخري فأجاب اللورد بأنه سيتوجه لمقابلة الخديو .

رأى كرومر في اقالة مصطفى فهمي قلبا لميزان السلطة ومحاوله من جانب الخديو لتوجيه شربة قاصمة للنفوذ البريطاني لأنه لم يستشره في تعيين فخري باشا ولو استشاره قبل اسناد المنصب اليه لما اعترض على تعيينه^(٥٧) ولكن الخطورة في نظر كرومر تكمن في أن تغيير الوزارة دبره الخديو ونفذه دون أن يأخذ رأيه ، وكان من المستحيل على كرومر الموافقة على أى تغيير يهدف الى شرب النفوذ البريطانى .

ذهب كرومر لمقابلة الخديو في ١٢ يناير ١٨٩٣ وأبلغه اعتراضه الشديد على ما حدث لأن الحكومة البريطانية لها حق اختيار الوزراء طبقا لمشور جرانفيل في ٣ يناير ١٨٨٣ فأجابه الخديو بأن الفرمانات السلطانية تعطيه حق اختيار وزرائه بنفسه فنصح كرومر بالآ يقاوم

(٥٥) المؤيد : عدد ٢ أبريل ١٨٩٣ حديث لعمود باشا شكرى ، مذكرات قلبنى فهمي باشا ، ص ١٢٠ — ١٢١ .

(56) H. D. Traill : Lord Cromer. London 1897 P. 281 - 9.

(57) Cromer : Op. Cit., P. 9 - Blunt : My Diaries VI. P. 106.

انجلترا حتى لا يفقد عرشه وسلطته (٥٨) وتمكر الجو وحدثت الأزمة (٥٩) ومع أن الخديو تمسك بموقفه إلا أنه وعد كرومر بعدم نشر تشكيل الوزارة في الجريدة الرسمية إلا بعد اعطائه الوقت الكافي للمفاوضة مع وزارة الخارجية البريطانية (٦٠) .

رأى كرومر انتهاز الفرصة لتلقيين الخديو درسا لا ينسأ لامتص باللورد روزبري وزير الخارجية البريطانية وأبلغه بالخبر ، وبأن تغيير الوزارة دون أخذ رأيهِ سيكون له عواقب وخيمة إذا لم يحسم الموقف مع الخديو ، ويوضح حد لهذه المسألة لأن الخديو يعتقد أن الحكومة البريطانية لا تؤيده كما كانت تؤيد الحكومة السابقة (٦١) ومطلب كرومر ارسال برقية توضح فيها الحكومة البريطانية أنه يجب أن تستشار في المسائل الهامة مثل مسألة تغيير النظار ، وأن التغيير الذي قام به الخديو غير مرغوب فيه ، وأنها لا توافق على تعيين فخري باشا كما طلب اعطاء السلطة لاتخاذ الاجراءات الفعالة إذا لزم الأمر للحيلولة دون احدث هذا التغيير ثم أوضح كرومر للحكومة البريطانية بأنه إذا تمكن الخديو من الحصول على أى مكاسب من جراء هذا الحادث فإنه لم يستطع السير على الخطة التى يسير عليها منذ عشر سنوات ، أما إذا أعطى للخديو درسا فيصعب عليه احدث أى متاعب أخرى مستقبلا (٦٢) ومع أن الخديو قد بر بوعده بعدم نشر تعيين الوزارة الجديدة حتى يتفاوض اللورد كرومر مع حكومته فإنه طلب من الوزراء

(58) Cocheris, J. Op. Cit., P. 248.

(59) Le Bosphore Egyptien 21 Janvier 1893.

(60) Cromer : Op. Cit., P. 22.

(٦١) لما استقالت وزارة سالسبورى وتولى المستر جلاستون السلطة أحس الخديو بأن جلاستون يميل الى الاسراع بالجلء عن مصر مما ساعده على مناوأة كرومر .

(62) Cromer : Op. Cit., P. 23 - 24.

الجدد الذهاب الى دواوينهم مما ضايق كرومر فأصدر أمرا الى الموظفين الانجليز بعدم الاعتراف بالوزارة الجديدة أو التعاون معها حتى يسمح لهم بذلك (٦٤) .

رأت الحكومة البريطانية في عزل الخديو لرئيس الوزراء المتعاطف مع السلطة البريطانية في مصر وتعيين آخر دون استشارتها أمر من الصعب الموافقة عليه لأنه سيؤدي الى اهتزاز مركزها في مصر كما رأى مجلس العموم البريطاني أن من سوء حظ الخديو عدم اتصاله بالحكومة البريطانية قبل عزل وزارة مصطفى فهمي ورغم أن بعض الأعضاء أيدوا فكرة عزل رئيس الوزراء لمرضه فإن أغلبية أعضاء المجلس لم يوافقوا على ما قام به الخديو حتى لا ينتهي الأمر بضياح نفوذ انجلترا في مصر (٦٥) أرسلت الحكومة البريطانية برقية الى اللورد كرومر ذكرت فيها « أن حكومة جلالة الملك يجب أن يؤخذ رأيها في المسائل الهامة مثل مسألة تغيير النظار ، وأنه في الوقت الحالي لا توجد ضرورة للتغيير لذلك فهي لا توافق على تعيين غخري باشا » .

وقد كلفت الحكومة البريطانية كرومر بأن يقابل الخديو ويبلغه بالبرقية ، كما طلبت منه ألا يتخذ أى إجراءات أخرى قبل الاتصال بلندن (٦٥) .

قابل كرومر الخديو في ١٧ يناير ، وأبلغه بالبرقية التي وصلتته من حكومته وطلب منه إعادة مصطفى فهمي الى رئاسة الوزارة فرفض الخديو مطلبه وأوضح له أنه استعمل حقه في اختيار الوزراء حسب

(٦٣) الرافعي : مصطفى كابل باعث الحركة الوطنية ، ص ٣٠٨ .

(64) The Parliamentary Debates, For Session 1893 Vol XIII, P. 115.

(65) Cromer : Op. Cit., P. 24.

الفرمانات السلطانية ، فهدده كرومر بأن نتائج رفضه ستكون وخيمة وحذره من عواقب مقاومة إنجلترا لأنه بذلك يجازف بساطته فرد عليه الخديو بأن تنازله عن العرش أفضل له من إرجاع مصطفى فهمي (٦٦) ، ولما علمت الحكومة الانجليزية بهذا الرد طلبت من كرومر أن يوضح للخديو بأنه إذا رفض الخضوع للنصائح البريطانية فإن عليه أن يتحمل أخطر النتائج (٦٧) .

دارت عدة مقابلات بين الخديو ونظاره للبحث عن طريق لحل الأزمة فحاول حسين فخري أن ينقذ الخديو من وورطته بتقديم استقالته ، كما ذهب بطرس باشا وتيجران باشا إلى كرومر ملتجئين منه للتساهل في حل الأزمة ف رأى كرومر أن من الملائم حل الأزمة دون العودة لاستشارة حكومته في لندن ، وبعد أخذ ورد طويلين استقر الرأي على تسوية الأزمة على أساس ألا يتمسك كرومر بإعادة مصطفى فهمي على أساس أنه ليس من الصواب إذلال الخديو الشاب على أن يعزل حسين فخري ويتم تعيين رياض باشا مكانه ويقدم الخديو بلاغا رسميا — وضع كرومر صيغته — يبدى فيه رغبته في توجيه العناية للبحث عن أفضل العلاقات الودية مع الحكومة البريطانية وأن يتبع في المستقبل نصائحتها في المسائل الهامة (٦٨) .

وفي صباح ١٨ يناير زار الخديو وتم ما اتفق عليه وبذلك انتهت الأزمة الوزارية دون أن ينال أحد من الفريقين نصرا مؤزرا .

وهكذا انتهت الأزمة الخطيرة التي أثارها عناد اللورد كرومر

(66) Cromer : Op. Cit., P. 24.

(67) Trail : Op. Cit., P. 286.

(68) Cromer : Op. Cit., P. 27.

ليفرض بالقوة تواجد رئيس وزراء لم يتردد يوما في الدفاع عن المصالح البريطانية ، وأن يضحى في سبيلها بمصالح بلاده (٦٩) .

وعلى كل حال فقد كان حل الأزمة مرضيا لفرنسا نظرا لابعاد مصطفى فهمى الذى كان يعمل ضد نفوذها ، ومرضيا لكرومر نظرا لابعاد حسين فخري الذى كان يظهر تأييده لفرنسا ، ومرضيا للخديو حيث نفذ رغبته في ابعاد مصطفى فهمى (٧٠) .

ومما سبق يتضح مدى التناقض بين أقوال الاحتلال وأفعاله فانجلترا التى كانت تسوغ احتلالها لمصر بدعوى المحافظة على حقوق الخديو تمنعه من حقه في اختيار وزرائه وتفرض عليه الوزراء التى تريدهم أما عن الموقف الدولى للأزمة فقد قاومت أوروبا هذا التعسف الانجليزى بشئ من الضعف ومع أن الخديو كان ينتظر مساعدة كل من فرنسا والروسيا له فقد وقفت الحكومة الفرنسية موقفا ضعيفا واكتفت بأن كلفت سفيرها في لندن بالاحتجاج على الاجراءات التعسفية التى اتخذها كرومر ضد الخديو ومعرفة الدور الذى لعبه كرومر في استقالة نظارة فخري باشا فكان رد اللورد روزبرى أن الاجراءات التعسفية كانت من جانب الخديو ولم تكن من جانب كرومر لأنه هو الذى عزل رئيس النظار وعين رئيسا جديدا للوزارة لا يليق بهذا المنصب دون استشارة أحد (٧١) .

أما روسيا فلم تتدخل في الأزمة بينما تخاذلت تركيا في اتخاذ موقف واضح فاكثفى الباب العالي بتكليف سفيره في لندن أن يصرح لوزير الخارجية البريطانية أن الخديو يعتبر ممثل السلطان في مصر والتمرض

(69) Le Bosphore Egyptien : 20 Janvier 1893.

(٧٠) أحمد شفيق : مذكراتى في نصف قرن ج ٢ القسم الأول ص ٦١ .

(71) Trail : Op. Cit., P. 288 - 289.

له إنما هو تعرض لشخص السلطان ، وكان رد روزبيري أن كرومر لم يقصد التعدي على حقوق الخديو وأن الحكومة البريطانية ترى في تعيين رياض باشا رئيسا للنظار حلا مرضيا (٧٢) .

أما عن الموقف الداخلي تجاه الأزمة فقد قوبل موقف الخديو من الأزمة بابتهاج كبير لأن مصطفى فهمي كان بغيا إلى نفوس أبناء الأمة لمآلاته للاحتلال فالتفت الأمة حول الخديو ، وأصبح موضع حب الشعب وازداد النداء بحياته أثناء تنقلاته كما هاجمت بعض الصحف الوطنية مصطفى فهمي واعتبرته خائنا للوطن لأنه توقف عن تنفيذ أوامر الخديو استنادا على الانجليز فقالت « الأستاذ » أنه ما كان ينبغي أن يوقف أمر سيده وأمير البلاد الشرعي على مشورة أجنبي ، كما أيدت موقف الخديو من الأزمة وذكرت أنه طبق ما فوضه إليه السلطان من السلطة وما أوجبه عهود الوراثة من الحقوق ، وطالبت المصريين جميعا بالخضوع للسلطان والاعتراف بسيادته وسلطته عليهم (٧٣) كما هرعت وغود الأمة إلى سراي عابدين في صبيحة الأربعاء ١٨ يناير ١٨٩٣ وكان منهم الأمراء والعلماء والأشراف والأعيان والتجار وأعضاء مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية وقضاة المحاكم وكبار الموظفين يهتفون الخديو ويظهرون خلاصهم له فكان الخديو يخطب فيهم وفدا وفدا موضحا لهم أنه عازم على عدم التنازل عن أي حق من حقوقه (٧٤) فكان جواب بعض الحاضرين « يا أفندينا ربنا كتب خلاص البلاد على أيديك ، وما رأينا هذا الحماس وحب البلاد وأهلها صدرا غيرك ربنا يخليك ويمطول عمرك » (٧٥) .

(٧٢) أحمد شفيق : المرجع السابق الذكر ، ص ٦٣ .

(٧٣) الأستاذ : الجزء الثالث والعشرون في ٢٤ يناير ١٨٩٣ ، ص ٥٤٠ — ٥٤١ تحت عنوان « الحقوق المقدسة » .

(٧٤) نفسه : ص ٥٤٢ .

(٧٥) مذكرات قلبي فهمي : ص ١٢٢ .

وفي يوم الجمعة ٢٠ يناير أدى الخديو قريضة الجمعة في مسجد الحسين لاستقبله الشعب بالحماس والتهافت ، كما اجتمعت الألوف في المسجد وعلى جانبي الطريق يهتفون له التهافتات العالية (٧٦) .

وفي مساء السبت ٢١ يناير حضر الخديو تمثيل رواية (عائدة) في الأوبرا فقامت مظاهرة رائعة له اشترك فيها الوطنيون والأجانب اذ وقف الجميع حين دخول الخديو اللوج وصدحت الموسيقى بالسلام واهتفوا له هتافا عالية ، ودوى المكان بالتصفيق المتواصل فأجابتهم الموسيقى بالسلام الخديو مثنى وثلاث ورباع ، وكلما عزفت زاد التهافت والتصفيق ملايين اعادوا السلام الخديو حتى أشار عليهم الخديو بالجلوس (٧٧) .

أما عن مصطفى كامل فقد اعطى منصة الخطابة في ٢٠ يناير ١٨٩٣ بين جموع الطلبة الذين احتشدوا للتعبير عن سخطهم على المحتل ، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يتكلم فيها بين عدد ضخم من المستمعين ، وقد غاب مصطفى كامل في خطبته على ضعف الحكومة موجها نداءه الى المصريين للكتل استعدادا للكفاح ضد المحتل (٧٨) كما هاجم هو وزملاؤه جريدة المقطم (٧٩) لوقفها العدائي من الخديو

(٧٦) وشح محمد فريد ذلك في مذكراته فقال « سلى الخديو الجمعة بجامع الحسين وكان بانتظاره بداخل المسجد وخارجه على جانبي الطريق ألوف الألوف من الناس ، وتظاهروا عند مروره تظاهرا لم يسبق اليه مثل في مصر ، واشترك الأجانب غير الإنجليز مع المواطنين في هذا الاحتفال التظاهري ، ورغب بعض الشبان حل خيل عربية الخديو وجرحها بأنفسهم تعظيما لمقامه السامي فأبى ذلك » .

مذكرات محمد فريد : القسم الأول تحت عنوان يناير ١٨٩٣ .

(٧٧) الرافعي : المرجع السابق ، ص ٣٠٩ .

(78) Bosphore Egyptien 22 Janvier 1893.

(٧٩) هذه الصحيفة اعتمد عليها الاحتلال وأمدوا كرومر بالمال وبكافة المواد الصحفية التي تكفل لها الرواج ، وقد صدر العدد الأول منها في يوم الثامن عشر من شهر أبريل ١٨٨٨ .

لما قام به أحداث الأزمة الوزارية (٨٠) ثم ذهب وغد من الطلبة برئاسة مصطفى كامل الى مكاتب صحيفة لوبوسفور اجبسيان Bosphore Egyptien لشكرها على ما أبدت من شعور نحو مصر والمصريين أثناء الأزمة الوزارية .

ولقد كان لهذه الحركة الشعبية الرائعة أثرها الواضح في تقوية مركز الخديو أمام كرومر حتى أن كرومر نفسه لم ينكر ذلك وان كان قد صورته تصويرا مشوها اذ قال : « حدثت كثير من التغيرات الوزارية خلال حكم توفيق أثارت الأحاديث في القاهرة ، ولكن أثر هذه الأحاديث لا يلبث أن يزول سريعا الا أنه من الواضح أن هياج الشعب هذه المرة قد تجاوز حده حتى أصبح الموقف قريبا لما كان عليه في بداية الثورة العربية مع اختلاف واحد هو أن الخديو هذه المرة كان قائدا للحركة ، والتف حوله بعض الشباب الذين رفعوا شعار الثورة في وجه الحضارة الغربية ، والباشوات الذين جردوا من امتيازاتهم أو أنقصت سلطتهم ، وكل مسلم متعصب يكره الأجانب في سريرة نفسه ، وكل راغب في منصب ويرنو الوصول اليه بأساليب غير سليمة وكل موظف فاسد وقفت الرقابة الأجنبية حائلا بينه وبين الحصول على كسبه الحرام ، وكل شاب اعتبر نفسه أفضل من رئيسه الانجليزى . كل هؤلاء التفوا حول الخديو في حركته ، وهكذا اتحد المصري المتفرنج مع الباشا المتخلف الذى يود عودة حكم البلاد بالكرباج والفساد » (٨١) .

والواقع أن الأزمة الوزارية أثبتت حاجة الشعب المصرى الى من يقوده للمواجهة مع الاحتلال لذلك وقف بجانب الخديو يشد أزره

(80) Landau : Parliaments and Parties in Egypt London P. 109.

(81) Cromer : Op. Cit., P. 34 - 35.

ويؤيده ، ويشاركة شعوره في أن يثبت أن لمصر خديويا جديرا بلقبه (٨٢) .

كما أن هذه الأزمة أثبتت التناقض الواضح بين أقوال الاحتلال وأفعاله فرغم أن الانجليز تذرعوا بأن سبب احتلالهم لمصر هو حماية عرش الخديو ، وتأييد سلطته فإن الأزمة الوزارية أوضحت أن الانجليز لا يعترفون بسلطة الخديو في اختيار وزرائه (٨٣) ويفرضون عليه الوزراء الموالين لهم مما يعتبر تحديا صريحا له واعتداء صارخا على حقوقه وعلى المعاهدات الدولية التي تحدد مركز مصر (٨٤) .

أما عن موقف الخديو من الأزمة فكان مشرفا فلم يقبل بقاء وزارة عرفت بالخضوع للاحتلال ورغم التهديد بعزله إذا أصر على موقفه ، ونجح في عزل مصطفى فهمي وإن لم يتمكن من إبقاء وزارة حسين فخري التي أمر بتشكيلها .

وعلى كل حال فقد خرج الخديو بمكسب هام من الأزمة الوزارية هو التفاف الشعب حوله وظهوره بمظهر الزعيم الوطني الذي لم يقبل وزارة عرفت بالخضوع للاحتلال واستعمل حقه في تعيين وزارة يرى فيها الاستقلال عن النفوذ الانجليزي .

• — وزارة رياض وحادث الحدود :

شكلت هذه الوزارة في ١٩ يناير ١٨٩٣ ، وكان كرومر يظن أن رياض بائسا سيتمكن من التأثير على الخديو ليخفف من كراهيته للاحتلال ، ولكن ما اتبعه رياض كان على العكس من ذلك فقد شجع

(82) Bosphore Egyptien : 21 Janvier 1893.

(٨٣) اللواء : العدد ٣١ في ٦ فبراير ١٩٠٠ تحت عنوان « السلطة الشرعية في مصر » .
(٨٤) عبد الرحمن الرافعي : المرجع السابق ، ص ٣٠٨ .

الخدوي على معاكسة انجلترا ، وذكر عقب الأزمة الوزارية أن سلوك الخديو قد رفعه في أعين الشعب وأكسبه احتراماً عاماً ، وأن جميع المصريين الآن في جانبه وقد علق كرومر على ذلك بقوله : « أن هذا لا ينطبق الا على طبقة الباشوات » (٨٥) .

وقد حاول رياض باشا الحد من تغلغل النفوذ الانجليزي في البلاد كما كان يتمنى أن يفارق كل أوربي البلاد غير أنه في أعصاه كان يضطر الى أن يعترف بأنه لا غنى عن الأوربيين ، ومع أن رياض كان يكره الصحافة الحرة كل الكره لمقد شجع الصحافة المناوئة للاحتلال ، وكان يسير ضد كل ما هو أوربي ثم تضطره الظروف الى التراجع فمثلاً رفض السماح للسير جون سكوت وغيره من الموظفين البريطانيين بحضور جلسات مجلس النظار (٨٦) الا أن كرومر اضطر الى اصدار أمر يلغى هذا القرار (٨٧) كما أنه أصدر منشوراً يأمر فيه جميع الموظفين المصريين بالامتناع عن الاتصال بضباط الجيش من الانجليز ثم ما لبث أن ألغى هذا المنشور (٨٨) ، وكان يشجع الصحافة المتعصبة ضد انجلترا ثم ينقلب فجأة فيطلب من أحد الصحفيين المشهورين بتعصبهم الوطني وهو عبد الله النديم أن يغادر البلاد .

ونتيجة لموقف رياض باشا المناوئ للاحتلال وتغير الموقف في مصر لمصلحة الحركة الوطنية رأى كرومر ضرورة كبح جماح الوطنيين قبل تفاقم الموقف فطلب من حكومته زيادة عدد القوات الانجليزية في مصر نظراً لتطور الأمور فيها وقد وافقت الحكومة البريطانية على

(85) Cromer : Op. Cit., P. 42.

(٨٦) أحمد شفيق : مذكراتي في نصف قرن ، ص ٥٩ .

(87) Cromer : Op. Cit., P. 42.

(88) Ibid : P. 44.

طلبه (٨٩) وكلفته بإبلاغ الخديو ورئيس النظار بقرارها بشأن هذه الزيادة دون توضيح السبب الذي دعا إلى هذا القرار (٩٠) .

ونتيجة لقرار الحكومة البريطانية بزيادة عدد قواتها في مصر تغيرت خطة رياض باشا ضد الانجليز ، وتوقفت حركة الهياج وهدأت خواطر الأوربيين ، ولكي تبرر انجلترا الأسباب التي دعتها إلى زيادة قواتها أمام الدول الأوربية أرسل المستر جلدستون منشورا إلى الدول يبلغها بأن زيادة قوة جيش الاحتلال لا يقصد منه أى تغيير في خطة انجلترا نحو مصر ولا في وعودها بالجلء فرددت فرنسا بأن ما جاء بالمنشور ليس كافيا لإيضاح أسباب زيادة هذه القوة لمأجاب وزير خارجية انجلترا بأن ذلك يرجع إلى أن انجلترا سحبت في السنوات الأخيرة قسما من جيش الاحتلال غير أنها وجدت أن الباقي ليس كافيا لحماية الأجانب أو لصد ثورة محتمل وقوعها (٩١) .

وفي ١٦ فبراير وجه روزبرى إلى كرومر رسالة نشرت علنا (٩٢) وضح فيها سياسة الحكومة الانجليزية بمصر وهي تنطوى على وجود استمرار الاحتلال لعدة اعتبارات هي :

١ — حماية مصالح وسلامة الأوربيين المقيمين بمصر .

٢ — أن قيام أى هياج قصير لا يجبر انجلترا على تعديل سياستها في مصر .

(89) The Parliamentary Debates. For Session 1893 Vol. XIII, P. 2 - 3.

(90) Cromer : Op. Cit., P. 37 - 38.

(٩١) أحمد شفيق : مذكراتي في نصف قرن ، ص ٧٠ .

(92) Charles - Roux : Histoire de la Nation Egyptienne, Vols. II, P. 157.

٣ — ان انجلترا أقدمت على عمل فيه مصالح الحضارة ولأوروبا ولا يمكنها أن تتراجع عنه .

٤ — ان معنى سحب القوات الانجليزية من مصر هو عودة الفوضى والفساد اليها .

كما أشار روزبري بضرورة المحافظة على النظام الإداري الذي أقيم بالارشاد الانجليزي ثم أشار الى احتمال قيام اجراء مفاوضات مع تركيا والدول الأوروبية وذكر أن الفرصة سانحة لكي تتحرر مصر من الرقابة الأوروبية لأنها لم تنتهياً لذلك ، كما أن الحوادث الأخيرة تجعل انجلترا تفكر تفكيراً أكثر وضوحاً (٩٣) .

أما عن الخديو عباس الثاني فقد لجأ الى السلطان مطالباً النجدة فزاره في يوليو ١٨٩٣ (٩٤) ، وكان تجران باشا والشيخ علي يوسف وعدد كبير من الأعيان والتجار والموظفين واثنين من أعضاء مجلس شورى القوانين (٩٥) ، وقد حاول الخديو اكتساب تأييد السلطان كما خلف تجران باشا على السفارات الأجنبية في الآستانة موضحاً موقف الخديو ، ومع أن السلطان رحب بالخديو وأعلن رضاه عنه وأهداه نيشان الامتياز المرصع فإنه طلب منه الابتعاد عن مناوأة انجلترا وأن يحسن علاقته مع الانجليز ، كما استدعى تجران باشا وطلب منه أن يوقف خطته المناوئة للانجليز ، وبذلك عاد الخديو من الآستانة مهيناً الجناح ، فقد قضى السلطان على الآمال التي كانت تراوده .

والجدير بالذكر أن الخديو عباس الثاني اهتم بأمر الجيش

(93) Cromer : Abbas II, P. 40 - 41.

(٩٤) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ٩٣ .

(٩٥) نفسه .

منذ اعتلائه أريكة الخديوية فوطد سلته به ، وأمر بترقية الكثير من الضباط المصريين (٩٦) كما فتح باب الترقى لهم الى الرتب التي تعلو رتبة الأيمرالى بعد أن كانوا يتوقفون عند هذه الرتبة (٩٧) كما كان يرتدى الملابس العسكرية كأحد ضباط الفرق ويشاهد المناورات الحربية بنفسه ، ويقوم بالتفتيش على الثكنات للوقوف على حالة الجنود مما أغضب اللورد كتشنر Kitchener سردار الجيش المصرى فاحتج لدى اللورد كرومر ، واستقر الأمر على انتهاء أول فرصة لخلق اهتمام الخديو بالجيش (٩٨) .

وقد أسند الخديو وكالة نظارة الحربية الى الفريق ماهر باشا محافظ الاسكندرية (٩٩) في أثناء غياب كرومر في لندن ، فكان ذلك بداية المتاعب الحقيقية بين الخديو والاحتلال حيث عمل ماهر باشا على التقليل من شأن كتشنر واثابة الفرصة للخديو للإشراف الحقيقى على وزارة الحربية (١٠٠) فحاول أن يحصل على بيان بمرتبات الضباط والموظفين بالجيش المصرى للمقارنة بينها وبين مرتبات أقرانهم من المصريين ، وكان كتشنر يخفى ذلك البيان عن الخديو وكانت هذه المرتبات تقدم بصورة عامة في الميزانية السنوية بدون تفصيل (١٠١) .

وقد تمكن ماهر باشا من الحصول على هذا البيان كما تمكن من التعرف على الطريقة التي تصرف بها الأموال التي كانت تحصل من

(٩٦) دار الوثائق : ديوان معية سنية عربى — مصادر افادات وتحريرات مجموعة رقم ٤٢ ، ص ٤ مسلسل ٩٨ بتاريخ ١٠ أغسطس ١٨٩٢ وابشبا ص ٤٩ مسلسل ٦٢٢ بتاريخ ٢٦ نوفمبر ١٨٩٢ .

(٩٧) المصرى : مذكرات الخديو عباس الثانى ، ص ٢ مايو ١٩٥١ .

(٩٨) أحمد رشاد : المرجع السابق ، ص ٤٦ .

(٩٩) أحمد شفيق : المرجع السابق ج ٢ ، القسم الأول ، ص ٨٠ .
(100) Zetland : Op. Cit., P. 208.

(١٠١) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ٨٠ .

المصريين مقابل الاعفاء من الخدمة العسكرية والمعروفة بالبذل العسكري والتي كانت تصل الى حوالي ٢٥٠.٠٠٠ جنيه فانتفع منها تستخدم للصرف على قلم المخابرات الانجليزى فى مناطق متعددة من الوطن العربى منها السودان والحجاز واليمن وطرابلس (١٠٢) .

كما تمكن الخديو من بث بعض العيون فى فرق الجيش ووحداته التعليمية لمعرفة احوال الجيش ، كما استطاع أن يبيت عيونه فى بيت السردار نفسه وكان يتصل برجال الجيش عن طريق العمدة والمشايخ فى القرى ، وعن طريق هؤلاء اتضح للخديو أن الضباط الانجليز الذين يقومون بتدريب الجيش المصرى ماسونيون (١٠٣) كانوا يشجعون الضباط المصريين بعد تفرجهم الى الالتحاق بالماسونية الانجليزية ، كما كان رئيس المخابرات الانجليزية فى مصر رئيسا للمحفل العسكري الانجليزى (١٠٤) .

وبمناسبة الاحتفال بعيد جلوس الخديو فى ٨ يناير ١٨٩٤ استعرض عباس الثانى بعض وحدات الجيش المصرى فى القاهرة

(١٠٢) جريدة المصرى : مذكرات عباس الثانى فى ٣ مايو ١٩٥١

(١٠٣) الماسون Macon كلمة فرنسالية معناها بناء ، فالماسونية بمعنى البناية وجماعة البنائين هم الاعضاء ، وكانت لهم كلمات واشارات يتعارفون بها .

جرجى زيدان : تاريخ الماسونية العام . القاهرة — مطبعة المحروسة ١٨٨٩ ، ص ٣١ .

والماسونية من مهمتها : « أن تدخل فى روع الناس انهم متساوون ، وان الميزات القومية والمعتقدات كلها اصطناعية لا قيمة لها » .

ر . فورستيه : هذه هى الماسونية — ترجمة بهيج شعبان . بيروت ١٩٥٥ ، ص ٩ ، ١٢ .

وللتفاصيل انظر : عبد الرحمن سامى عصمت . الصهيونية والماسونية ، ص ٨٤ .

(١٠٤) المصرى : مذكرات عباس الثانى فى ٤ مايو ١٩٥١ .

وأوضح اعجابه بحسن نظامها ، وفي اليوم التالي سافر الخديو إلى الصعيد لتفقد أحوال الجيش المصرى المرابط فى أسوان وجنوبها — وصحبه عمه الأمير أحمد غؤاد كبير ياورانه ومحمد ماهر باشا وكيل نظارة الحربية وكبار رجال المعية (١٠٥) — حيث كان بعض الضباط المصريين قد قدموا إليه شكوى من سوء معاملة قائدهم الانجليزى الذى كان برتبة القائمقام كما أن الخديو علم بوجود خطة سرية وضعها كتشنر وتتضمن إرسال جيش على حدود السودان لمحاربة التعايشى خليفة المهدي (١٠٦) مما ضايق الخديو وجعله يسافر إلى الصعيد ليؤكد سلطته على الجيش بصفته قائده الأعلى وخصوصا بعد أن طالب كرومر حكومته زيادة القوات الانجليزية فى مصر .

ويبدو أنه كان فى نية الخديو توجيه الانتقادات للضباط الانجليز الذين يشرفوا على الجيش المصرى ويتضح ذلك مما ذكره أحمد شفيق حين قال : « أنه حين تناول أفراد المعية الطعام مع الخديو كان يجرى الحديث فى أمور شتى ، وكان كل منا يصرح برأيه غيما يدور عنه الحديث وكذلك يبدى الخديو رأيه فيه ، فقد قال سموه قبل رحلة الحدود أنه اذا وجد ملاحظات على الجيش فلا يتأخر فى ابدائها » (١٠٧) .

ويذكر جورج آرثر أن الانجليز قد عرفوا بنيات الخديو عن طريق حسين محرم أحد المقربين من الخديو والذي كان يعمل قومنداناً للمراسلات السرية الخديوية وكان على صلة بكتشنر (١٠٨) ، كما يؤكد

(١٠٥) دار الوثائق : مذكرات محمد على علوبة — ذكريات سياسية واجتماعية ، ص ٣٧ .

(106) Blunt : My Diaries, Vol I, P. 155 - 156.

(١٠٧) أحمد شفيق : المرجع السابق ج ٢ ، ص ١٢٧ .

(108) George Arthur : The life of Lord Kitchener Vol. 1, P. 182.

(م ٦ — الخديو عباس الثانى)

ذلك أحمد شفيق فيذكر أن الشكوك اتجهت الى حسين محرم الذي كان على صلة بكتشنر (١١٩) وعلى كل حال فقد شك الانجليز في الأمر واعتبروه غير حقيقي (١٢٠) .

ومع أن شكوك أفراد المعية حول من أبلغ نية الخديو كانت تحوم حول حسين محرم (١٢١) فإنه يتضح من دواوين المعية السنية أن الخديو لم يفاتحه في هذا الأمر ، ولم يتخلى عنه بل قربه اليه (١٢٢) مما يجعلنا نستبعد أن حسين محرم هو الذي أفشى بنيات الخديو الى الانجليز .

استعرض الخديو قوات الجيش في وادي حلفا وبجانبه ماهر باشا وكيل وزارة الحربية (١٢٣) في ١٨ يناير ١٨٩٤ وأبدى بعض انتقاداته وملاحظات على سلوك الجند في الاستعراض العسكري فعند

(١٠٩) أحمد شفيق : المرجع السابق ج ٢ ، ص ١٢٧ .

(١١٠) George Arther : Op. Cit., Vol 1, P. 182 .

(١١١) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

(١١٢) بالرغم مما قيل عن صلة حسين محرم بكتشنر فإن دواوين المعية السنية توضح لنا أن الخديو لم يتخلى عنه بل قربه اليه ورفاهه فعينه ياورا أول ويتضح ذلك من الديوان رقم ٥٤٠١ ، ص ٢ ، نمرة ٣ بتاريخ ٢ أبريل ١٩٠٥ حيث يذكر « انه قد سمحت المكافم الخديوية الفعيلة بترقية حضرة الميرلاي حسين محرم من ياوران الجناح الخديو الى رتبة اللواء وتعينه ياورا أول » وفي الديوان رقم ٥٤٠٩ نجد أن حسين محرم رقى الى رتبة فريق وتعين ناظرًا للخاصة الخديوية « فصدر أمر عال الى مساعدة الفريق حسين محرم باشا بتاريخ ١٨ مايو ١٩١٢ بتعيينه ناظرًا للخاصة الخديوية من التاريخ المذكور » .
انظر : دار الوثائق : دواوين المعية السنية عربى سجل س/١٥/١٥ تحت رقم عام ٥٤٠٩ .

(١١٣) رقى الخديو ماهر باشا الى رتبة الجنرال وعينه محافظا للاسكندرية بعد ان كان وكيلًا لديرية الحدود بأسوان ، ثم عينه وكيلًا لوزارة الحربية .

جريدة : مذكرات عباس الثاني في ٣ مايو ١٩٥١ .

مرور الأورطتين الثانية والحادية عشر التفت الى ماهر باشا وكان بجواره وقال له : « ان هذه الجنود في حالة تدعو الى الخجل » (١١٤) كما قال لقومندان الأورطة الثانية الانجليزى « ان سير هذه الأورطة ليس حسنا كسير الأورطة الأخرى » (١١٥) كما أبدى مثل هذه الملاحظة على الأورطة الحادية عشر وطلب القومندان باء الطابور وأبدى لهم ملحوظاته على الجيش (١١٦) كما ألقى خطبة على مسامع الضباط انتقد فيها طريقة التعليم التى ينتهجها الضباط البريطانيون ازاء الجيش المصرى (١١٧) وصرح الخديو لكثشتر أنه يمدح كل ضابط يقوم بواجباته ويلوم كل من يقصر فيما عليه نحو جنوده (١١٨) ، وقد تأثر كثشتر من سلوك الخديو نحو الضباط الانجليز وانتزح الفرصة للذيل من مهابة الخديو أمام الجيش (١١٩) فأعلن أن كرامة الضباط الانجليز قد اتمنت واحتج على ذلك بأن قدم استقالته ، ولما أحس الخديو بتوتر الموقف حاول حمل كثشتر على العدول عن استقالته فقال له أنا قلت ما رأيته كمصرى وكثائد للجيش ، ولكى ألغت نظر القائدين الانجليزيين الى ضرورة بذل الجهد لاستكمال النظام ولا أقصد توجيه اهانات شخصية لك فلماذا تريد استخدام القضية لغايات سياسية (١٢٠) فرد كثشتر بأنه اذا كان الضباط الانجليز ينتقدون علنا بهذا الشكل فان مركزهم فى البلاد يصبح من الصعب تأييده ، وأنه فى هذه الحالة يصعب عليه تماما الحصول على ضباط أكفاء للعمل بالجيش المصرى ،

-
- (١١٤) دار الوثائق : مذكرات مصطفى كامل ، ملف ٢٥ تلغراف رقم ٨٢ بتاريخ ٢٣ يناير ١٨٩٤ .
 (١١٥) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٣ .
 (١١٦) مذكرات مصطفى كامل : التلغراف السابق الذكر .
 (١١٧) أحمد رشاد : المرجع السابق ، ص ٤٦ .
 (١١٨) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٧ .
 (١١٩) الراعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، ص ٣١١ .
 (١٢٠) بشارة تولا باشا : مختارات من اتواله المنشورة بالأهرام القاهرة — مطبعة الأهرام ١٩٠٢ ، ص ٣٥٩ .

فأوضح له الخديو بأن لديه الثقة التامة به ، وأنه لم يقصد سوى أن يلفت نظر القائدين الى ضرورة السهر على الكمال والنظام ، كما أنه فعل ذلك مدفوعا بحبه لجيشه ، ولهذا لا يفهم لماذا يريد أن يعطى لهذا الأمر الخصوصى معنى سياسيا ، فأوضح له ككتشنر بأنه ربما لا يصر على استقالته وأن كان لم يسحبها نهائيا (١٢٢) ثم أرسل ضابطا الى كرومر ليشرح له تفاصيل الحادث (١٢٣) كما أرسل تلغرافين الى كرومر أيضا يشكو فيهما من انتقادات الخديو للجيش وبأنه صرح بأن حالة الجيش غار على مصر (١٢٤) وأنه أبدى ملاحظات فيها تحقير للضباط الانجليز .

وبدفعنا موقف ككتشنر الواضح في تصعيد الأزمة الى أن نتساءل ما هو الهدف الذى يرمى اليه من ذلك ؟

الواقع أن ككتشنر كان ينقم على الخديو اهتمامه بالجيش ، وكان قد أرسل من قبل الى كرومر يشكو له من محاولات الخديو التدخل في شؤون الجيش ، وقد تم الاتفاق بينهما على انتهاز فرصة مناسبة للنيل من هيبة الخديو أمام الجيش ، وكان حادث الحدود هو الفرصة المرتقبة (١٢٥) ، كما أن ككتشنر كان من مجموعة كرومر التى ترى ضرورة شل سلطة الخديو والضغط عليه حتى يمكن تنفيذ أغراض انجلترا في مصر .

وعلى كل حال فقد هالت كرومر خطورة الموقف فذكر أن انتقادات الخديو للضباط الانجليز تعتبر أسوأ سلوك رآه في حياته كما رأى أن

(121) Cromer : Abbas II, P. 51 - 52.

(١٢٢) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٣ .
(١٢٣) بذكرات مصطفى كامل : ملف رقم ٢٥ تلفراف رقم ٧٧ بتاريخ ٢٢ يناير ١٨٩٤ ونص التلفراف ضمن ملاحق الرسالة .
(١٢٤) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٣١١ .

الفرصة التي كان ينتظرها لتوجيه ضربة قوية ومناسبة الى الخديو قد حانت ، كما أن الفرصة مناسبة أيضا لعزل ماهر باشا وكيل وزارة الحربية المناوئ للانجليز فأبلغ حكومته بالأمر كما اقترح على الخديو بأن تسوية الموقف لا تتم الا بنقل ماهر باشا واصدار أمر عسكري يثنى فيه الخديو على الضباط الانجليز والجيش والا فانه سيفطر الى وضع الجيش المصرى بكامله تحت سلطة الاحتلال (١٢٥) .

استامت الحكومة البريطانية من الحادث وأبلغت كرومر بأن يخبر الخديو بخطورة الموقف بعد أن أصبح من عادة سموه اهانة الضباط الانجليز ، وأن الترضية الوحيدة التي يمكن للخديو أن يقدمها هي نقل ماهر باشا واصدار أمر عسكري يثنى فيه الخديو على الضباط الانجليز والجيش (١٢٦) وفي حالة رفضه اعطاء هذه الترضية ننظر في استعمال الشدة التي يكون من ورائها وضع الجيش المصرى رأسا تحت السيطرة الفعلية لانجلترا حتى يمكن ضمان حماية الضباط الانجليز من المعاملة المهينة (١٢٧) .

وبعد أن أبلغ كرومر برد حكومته قابل رياض باشا وتجران باشا وأوضح لهما خطورة الحادث وطلب منهما تنفيذ ما طلبته الحكومة البريطانية وهدد بخلع الخديو من عرشه اذا لم يمتدح وي سحب انتقاداته (١٢٨) .

ولما كان الخديو لم يعد الى القاهرة بعد ، فقد هرع رياض باشا وبمحجته بطرس غالى ناظر المالية الى الصعيد وقابلا الخديو بعد رسو يخته في جرجا وأخبراه باستياء كرومر منه وتهديده بالخلع

(125) Cromer : Op. Cit., P. 56.

(١٢٦) مذكرات مصطفى كامل : ملف ٢٥ ثغراف رقم ٧٧ .

(127) Cromer : Op. Cit., P. 57 - 58.

(١٢٨) احمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

إذا لم يسحب انتقاداته وطلباً منه تقديم الثناء والاعتذار للضباط الانجليز (١٢٩) فانهضش الخديو لتطور المسألة عند هذا الحد ، وأحس أن الغرض من ذلك هو إحراجة والضغط عليه فأراد المعارضة ولكن رياض باشا أوضح له خطورة الحالة وأن النتائج ستكون وخيمة العقبي إذا لم يقدم الترضية اللازمة (١٣٠) كما ذكر له أن قنصل فرنسا يرغب التدخل وينصح الخديو بالاستسلام (١٣١) .

والواقع أن قنصل فرنسا قد حاول الضغط على كرومر للحصول على شروط أيسر للخديو ولكن كرومر أصر على أنه لا يقبل غير الشروط التي أعلنها ، ولذلك اقتصر عمل القنصل الفرنسي وقنصل روسيا على استخدام نفوذهما للتوفيق بين الطرفين (١٣٢) .

وتشاور الخديو في الأمر مع بطرس غالى ونوبار باشا ثم أمر بأن يرسل رياض باشا برقية الى تجران باشا ناظر الخارجية لإبلاغها الى كرومر ومضمونها أن الخديو قد انهضش من تطور الأمور وأنه يحتفظ لنفسه في تقرير حقيقة الواقع فيما بعد ، ولما كان يهمه ألا يكون هناك أى شك في رضائه لجيشه ، فإنه يكرر صدور الأمر للسردار للأعراب عن رضائه عن الجيش وعظيم الامتنان الذى شمله عند تفقده له (١٣٣) .

ولما وصلت كرومر هذه البرقية اعتبرها غير كافية للترضية

(١٢٩) محمد على علوبة : المخطوط السابق ، ص ٣٧ .

(١٣٠) جوليت آدم : انجلترا فى مصر — ترجمة على فهمى كابل ، ص ١٤٢ .

(١٣١) ذكر عباس الثانى أن ما ذكره رياض غير صحيح وأنه علم من المسيو دى ريفرسو أن رياض لم يقابله .

جريدة المصرى : مذكرات عباس الثانى فى ٤ مايو ١٩٥١ .

(132) Cromer : Op. Cit., P. 58.

(١٣٣) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

الكاملة وأصر على أن يصدر الخديو منشورا يعرب فيه عن رضائه عن أحوال الجيش في الحدود وعن الضباط الانجليز الذين يقومون بتدريبه، وأن يبعد ماهر باشا عن الجيش كما أصر كرومر على أنه في حالة اذا ما أراد الخديو تقديم أى شكوى ضد الضباط الانجليز فعليه أن يقدمها للقائد العام لجيش الاحتلال (١٣٤) .

وقد قابل رياض الخديو بالفيوم وأخبره بمطالب كرومر وبخطورة الموقف فأراد المعارضة ، ولما علم أنه لم يسمح له بمواصلة السفر من الفيوم الى القاهرة الا اذا اعتذر (١٣٥) أصدر تصريحاً بالفرنسية نصه : « قبل أن أترك الوجه القبلى وأعود الى مصر ، أريد أن أكرر ما أظهرته من العناية وحسن الالتفات للجيش عند زيارتي للحدود ، وأثبت حسن رضائى الذى أبديته لكم من جهة حسن حالة الجيش ونظامه ، وانى لمرور من أن أهنيء الضباط الذين يرأسونه مصريين كانوا أو انجليز ، وانى لمرتاح أيضا بأن أقدر الخدمات التى أداها الضباط الانجليز لجيشى وأملنا أيها السردار أن تعلنوا أمرنا هذا على الضباط والعساكر » (١٣٦) .

ولما كان نص هذا التصريح قد نشر بالفرنسية فقد أصر كرومر على نشره بالعربية فأجيب الى طلبه (١٣٧) ولما أصر كرومر على ابعاد ماهر باشا عن نظارة الحربية أجابه الخديو الى طلبه وعينه محافظاً للقنال (١٣٨) .

وبذلك أذعن الخديو لما طلبه كرومر وأصيب نفوذه من جراء

(١٣٤) نفسه .

(١٣٥) محمد على علوية : المخطوط السابق ، ص ٢٨ .

(١٣٦) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

(١٣٧) نفسه .

(138) La Réforme : 27 Janvier 1894.

ذلك بضرية قوية كما تصدعت هيئته في نفوس أفراد الجيش الذين أدركوا أن سلطة السردار أقوى من سلطة الخديو ، وأن خضوعهم لسيطرة الانجليز هو السبيل الى الترقى ، وانتهى الأمر بأن أصبح العساكر والضباط المصريين لا يعرفون رئيسا عسكريا لهم سوى كوتنر باشا ولا رئيسا سياسيا سوى اللورد كرومر (١٣٩) .

هذا هو الحادث المعروف بحادث الحدود ، ولكي يخفف الخديو من الصدمة ويقلل من وقع الحادث أمام الرأي العام الانجليزى ويقلل من هجوم الجرائد الانجليزية عليه أرسل تقرير سرى عن الحادث الى ملكة بريطانيا يدافع فيه عن نفسه لمذكر أنه عندما استعرض الحاميات العسكرية في أسوان وكورسكو ووادي حلفا أثنى عليها بمصفة عامة غير أنه انتقد ما وجده من اهمال في الأورطنتين الثانية والحادية عشر وأنه لم يقصد من وراء انتقاده سوى اظهار أخطاء مؤقتة لفتت نظره ووجهها دون أن يقصد من ذلك اهانة الضباط الانجليز (١٤٠) .

ويتضح لنا من هذا التقرير تراجع الخديو عن موقفه العدائى تجاه الاحتلال وخصوصا بعد أن رأى عدم جدية فرنسا في مساندته وتهديد الانجليز له باحلال شقيقه الأصغر محمد على مكانه (١٤١) . أما عن الأزمة فيتضح استفحال كرومر للحادث استغلالا يدل على تمتعه بمهارة سياسية وأخاطبة تامة بكل ما حوله من الظروف . كما يتضح تتسائل نفوذ الخديو واشتداد الجفاء بينه وبين رياض باشا الذى لم يقف معه بالخلاص (١٤٢) لأن الموقف لم يكن بالخطورة التى صورها له وأنه كان من الممكن أن تحل الأزمة بطريقة أفضل لو أن رياض وقف

(١٣٩) بشارة نقلا : المرجع السابق ، ص ٢٥٩ .

(١٤٠) احمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٣٠ .

(141) Chochoeris, J. Op. Cit., P. 259.

(١٤٢) الزايعر : المرجع السابق ، ص ٣١٣ .

بجانبه ، ولم ينصح به بتقديم الاعتذار المهين ^(١١٣) لذلك نقم عليه وحاول التخلص منه في أقرب فرصة كما طلب من الصحف الموالية له مهاجمة رياض لتقصيره في مساندة الخديو أثناء الحوادث ولما أحس رياض بذلك قدم استقالته في ١٤ أبريل ١٨٩٤ ، وقبل أن يصدر الخديو قراره في الأمر اتصل بكرومر واستشاره محافظة على وعده للحكومة البريطانية بشأن من سيخلف رياض فأشار عليه بتعيين نوبار باشا .

وزارة نوبار واطلاق يد الانجليز في الادارة المصرية :

اتضح للخديو بعد حادث الحدود أنه دفع الثمن غاليا في مناوئته للانجليز فقد فقد في السنوات الثلاث التي جلس فيها على العرش من السمعة والهيبة والنفوذ الكثير ، وأن مقاومته العلنية للاحتلال سببت له أضرارا قد تودي بعرشه لذلك سلك طريق المقاومة السرية للاحتلال فشجع العناصر المعارضة له سرا بينما أظهر الوداع مع الانجليز علنا .

وقد تألفت وزارة نوبار في ١٦ أبريل ١٨٩٤ ، وكان من المتوقع أن تضع هذه الوزارة حدا للعلاقات العدائية بين الخديو وكرومر ولكن كل منهما لم يكن لديه الاستعداد بقبول هذه السياسة ، وكان الخديو يعتقد أن نوبار سيقاوم سيطرة الانجليز على الادارة مثلما قاومها في وزارته السابقة ^(١١٤) ، ولكن ما حدث هو أن نوبار قد اتبع عكس ذلك فسار على سياسة الخضوع الكامل للاحتلال حيث كان قد فقد الكثير من قدرته على المقاومة اذ كان في السبعين من عمره ويتوقع أن تكون هذه آخر وزارة له ، يضاف الى ذلك أن المنظمات الارمنية المطالبة بالاستقلال كانت تجد التأييد من انجلترا ، كما أن انجلترا وافقت

(١٤٣) جريدة المصري : مذكرات عباس الثاني في ٥ مايو ١٩٥١ .

(١٤٤) تعتبر هذه الوزارة هي الثالثة بالنسبة لنوبار فقد كانت

الاولى في عهد الخديو اسماعيل والثانية في الفترة من ١٨٨٤ — ١٨٨٨ .

على مشروع اصلاح أرمينيا الذى قدمه مؤتمر برلين ، ولا شك أن نوبار كأرمنى الأصل كان مدينا بالعرفان لبريطانيا .

وقد بدأت وزارة نوبار بتسهيل مهمة الانجليز فى بسط سيطرتهم على وزارة الداخلية ، فقد اكتفى الانجليز فى بداية احتلالهم لمصر بتعيين مفتش عام انجليزى للبوليس ، مع بقاء سلطة المديرين مما أوجد ازدواجا فى السلطة فى الأفاليم ، وزادت الجرائم ^(١٤٥) وانتشرت الاضطرابات فى القرى نتيجة لعدم استتباب الأمن .

وقد ذكر نوبار فى تقرير له بتاريخ ٣ نوفمبر ١٨٩٤ أنه وجه كل التفاتته الى سوء حالة الأمن فى البلاد والى البحث عن الطرق الموصلة لاصلاح تلك الحال ، وأن نظام البوليس الذى تشكل عقب الثورة يعيل الى السيطرة على الادارة الداخلية برمتها ، ونشأ عن ذلك تنازع فى الاختصاص ، وكانت النتيجة الاضرار بالأمن العام لذلك رأى نوبار الغاء وظيفة المفتش العام فى البوليس والعودة الى النظام القديم الذى يقضى بأن يكون كل مدير مسئولا عن الأمن فى مديريته وأن يعين فى المديرية بوليس يكون المديرين رؤساء له ^(١٤٦) ويعاونهم فى ذلك مشايخ البلاد ^(١٤٧) أما الضباط الأجانب المقيمون فى المديرية فيدعون الى نظارة الداخلية فى القاهرة ، ويلحقون بها لاجراء التحقيقات أو للقيام بمهام معينة ^(١٤٨) ، وبذلك تم الغاء وظيفة المفتش العام للبوليس ، وسحب مفتش البوليس الانجليزى من المديرية وأحكمت السيطرة الانجليزية على وزارة الداخلية من القمة فعين Eldon Gorst مستشارا لوزارة الداخلية فى ٣ نوفمبر ١٨٩٤ وتجنبنا لاثارة رأى العام

(١٤٥) جمال المسدى : المرجع السابق .

(١٤٦) نجيب مخلوف : نوبار باشا وما تم على يده . القاهرة — المطبعة العمومية ، ص ١٨٤ .

(١٤٧) احمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٧٧ .

(١٤٨) نجيب مخلوف : المرجع السابق ، ص ١٨٤ .

اتفق على أن يكون تعيينه مؤقتا وألا تكون له أى سلطات تنفيذية ،
وتكون اتصالاته بمختلف الإدارات عن طريق الوزير .

ولما قدم نوبار المشروع الى الخديو للموافقة اعترض عليه مهدد
نوبار بالاستقالة ، وتحت ضغط كرومر قبل الخديو المشروع وتحقق
للانجليز السيطرة على وزارة الداخلية مما أدى الى استياء الخديو
من نوبار .

وقد وصلت العلاقة بين الخديو ونوبار الى درجة الأزمة حين
مرض الخديو اسماعيل بالسرطان وأرسل الى حفيده عباس الثانى لكى
يأذن له بالعودة الى مصر مراعاة لصحته وشيخوخته (١١٩) حيث أن
هواءها يوافقه ولأن الأطباء رأوا ضرورة مغادرته للأستانة (١٢٠) .

ولما كان الخديو يميل الى تحقيق هذه الرغبة خصوصا وأنه
كان يحب جده حبا شديدا (١٢١) تباحث مع النظار فى ذلك ثلاث مرات
ولكن مجلس النظار برياسة نوبار رفض فكرة عودة الخديو السابق
اسماعيل الى مصر حتى لا يسبب ذلك أزمات سياسية مع الانجليز (١٢٢)
ومع الدول التى اشتركت فى خلعه ، ولما أصر الخديو على طلبه أصر
النظار على موقفهم ، ولحوا بأنهم يفضلون الاستقالة اذا لم يحترم
الخديو رأيهم ، فغضب عباس على نوبار وحاول التخلص منه بمضاعفة
الحملات عليه فى الصحف ، ولكن كرومر كان يرى أن أى تغيير وزارى
فى هذه الظروف يجعل المصريين يدركون أنهم لا يستطيعون البقاء
فى مناصبهم اذا لم يتعاونوا مع الخديو ضد الاحتلال فطلب التأييد من

(١٤٩) الرفاعى : المرجع السابق ، ص ٣١٣ — ٣١٤ .

(١٥٠) احمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٧٩ .

(١٥١) مذكرات الأميرة جويدان زوجة الخديو عباس الثانى . القاهرة
الهلal العدد ٣٥٦ فى أغسطس ١٩٨٠ ، ص ٨٢ .

(152) La Réforme : 14 Février 1896.

الحكومة البريطانية فأبلغته بأنها لا ترى داعيا لأى تفسير وزارى فى الوقت الحالى ، وأنه لو حدث ذلك ستعتبره موجها ضدها ، وعلى الخديو أن يتحمل النتائج المترتبة على ذلك .

ولما كان التهديد بالعزل واضحا فى تلك اللحظة أنكر الخديو رغبته فى تغيير الوزارة وكانت هذه هى المرة الثالثة التى ينهار فيها الخديو أمام كرومر . المرة الأولى فى الأزمة الوزارية ١٨٩٣ والثانية فى حادث الحدود ١٨٩٤ وقد ترتب على هذه الأزمة نتيجتين هما :

- ١ — ضرورة أن يتبع الخديو نصيحة وزرائه .
- ٢ — استشارة الخديو لكرومر قبل عزل وزرائه (١٥٢) .

وقد استغل كرومر ذلك الوضع وطالب بتشكيل محكمة مخصصة لمحاكمة من يعتدى على أفراد جيش الاحتلال فأرسل الى الحكومة المصرية ما خلاصته « أن القانون الدولى يخول لجيش الاحتلال اقامة الأحكام العرفية على جميع الذين فى مصر من وطنيين وأجانب لمحاكمة المعتدين على جنودنا لذلك فأنى أرى اقامة محكمة مخصصة ، وأطلب تشكيلها من خمسة أعضاء ثلاثة انجليز ووطنيين اثنين برئاسة السير سكوت (١٥٤) » وعقب ذلك صدر قانون فى ٢٥ فبراير ١٨٩٥ بتشكيل هذه المحكمة لتحكم فيما يقع من الأهالى من الجنايات والجنح على عساكر أو ضباط جيش الاحتلال أو على البحرية الانجليزية (١٥٥) .

(١٥٢) المسدى : المرجع السابق .

(١٥٤) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٨٩ .

(١٥٥) أنتهز كرومر فرصة اشتباك ثلاثة من البحارة الانجليز مع بعض الوطنيين فهول من شأن هذه المشاجرة البسيطة واعتبرها اثرا من آثار التعصب الدينى ، وعقد النية على تشكيل محكمة عسكرية لمحاكمة المعتدين .

أحمد شفيق : المرجع السابق : ص ١٨٧ .

وقد أحدث ظهور هذا القانون ضجة كبيرة في الأوساط الوطنية حيث يعتبر انتهاكا لسلطة القضاء المصري وتثبيتا لأقدام الاحتلال مهاجمة مصطفى كامل في مقال له تحت عنوان « صواعق الاحتلال »^(١٥٦) كما أرسل الشيخ علي يوسف بعريضة إلى الخديو يطلب فيها إلغاء القانون الصادر بتشكيل هذه المحكمة « حتى يزول هذا العيب الكبير المشوه لنظام القضاء المصري »^(١٥٧) ولكي يصبح كرومر الحاكم بأمره في مصر لم يبق أمامه سوى تعيين وزارة أكثر خضوعا للاحتلال ، وقد ساعده على ذلك الجفاء القائم بين الخديو ونوبار ، وتدهور صحة نوبار بعد أن أصيب بكسر في قدمه^(١٥٨) .

وقد قدم نوبار استقالته في ١١ نوفمبر ١٨٩٥ بعد استشارته لكرومر في ذلك فخلفه مصطفى باشا فهمي وكانت عودته لرئاسة الوزارة دليلا على قوة نفوذ كرومر لأن مصطفى فهمي كان صديقا وفييا للإنجليز ، وكانت بعض الصحف تسميه « سير مصطفى فهمي »^(١٥٩) .

وقد ألف مصطفى فهمي وزارته الجديدة في ١٢ نوفمبر ١٨٩٥ دون تعديل في الوزراء الذين كانوا في وزارة نوبار^(١٦٠) وتعتبر هذه الوزارة وزارة استسلام وخضوع للاحتلال وقد ظلت في الحكم حتى نوفمبر ١٩٠٨ أي أنها دامت ثلاثة عشر عاما لذلك يطلق عليها بعض المؤرخين اسم الوزارة الطويلة لأنها أطول الوزارات عمرا في تاريخ مصر الحديث

(١٥٦) الأهرام : ٤ مارس ١٨٩٥ .

(١٥٧) محافظ عابدين : ديوان خديو — محفظة رقم ١٢ التماسات جماعية .

(١٥٨) بينما كان نوبار ينتقد أمليانه في شبرا وقع وانكسرت رجله .
نجيب مخلوف : المرجع السابق ، ص ١٨٥ .

(١٥٩) l'Echo d'orient : 14 November 1895.

(١٦٠) أحمد شفيق : المرجع السابق ج ٢ — القسم الأول ،
ص ١٧٩ — ١٨٠ .

وفي عهد هذه الوزارة تمكن كرومر من تعيين نائب عمومي انجليزى وأصبحت سلطة النيابة وهيئتها تحت تصرفه كما صدر في عهد هذه الوزارة مرسوم بتأسيس البنك الأهلى (١٦١) .

ومما سبق يتضح أن السياسة التى اتبعها كرومر تجاه الخديو أدت الى فقد الخديو للكثير من سلطاته وأوضحت له بأنه لا جدوى من المقاومة العلنية للانجليز فقد خسر الكثير مع الانجليز أثناء مقاومته لهم جهارا فى الأزمة الوزارية وحادث الحدود .

ولذلك اتبع الخديو سياسة الوفاق مع الاحتلال علنا وتشجيع الحركات المناوئة للاحتلال سرا .

(١٦١) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٣١٤ .